

جامعة بابل  
كلية الدراسات القرآنية  
قسم علوم القرآن

# جُهُودُ هَالِيدِي فِي الِاتِّجَاهِ الوَظِيفِيِّ

الباحث  
أحمد كاظم عمّاش

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق محمد وآله  
الطيبين الطاهرين.

وبعد:

شهد القرن العشرون نشاطا متميزا في مجال الدراسات النحوية واللغوية  
وهذه الدراسات أغلبها برزت في الغرب، فخرجت الكثير من النظريات اللغوية  
ثائرة على الدراسات التقليدية، فاتخذت لها جهات مختلفة في النظر إلى اللغة  
ووظيفتها، ومن هذه الجهات نظروا إلى المعنى من خلال السياق لما له من  
أثر في توجيه الألفاظ لتكون دلالة على معان حسب ذلك السياق.

فكان الاتجاه الوظيفي من أبرز الاتجاهات التي نظرت إلى اللغة نظرة  
براغماتية لا نظرة عقلية تهدف إلى الكشف عن الحقيقة الكامنة تحت السلوك  
الفعلي للإنسان.

والاتجاه الوظيفي له مدارس مختلفة منها مدرسة لندن، وهذه المدرسة لها  
مؤسسون من أبرز مؤسسيها البروفسور مايكل هاليدي الذي طوّر النظرية  
السياقية التي عرف بها العالم الإنكليزي جون فيرث، ثم وضع نظرية أسماها  
نظرية (النحو النظامي) وهذه النظرية مبنية على أساس تعدد وظائف اللغة،  
وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من  
التعبير عن أفكاره ومشاعره.

وهذا البحث سيبين جانب من جهود هاليدي في هذا الاتجاه؛ من خلال  
نظرته إلى اللغة وسياق الحال ونظرية النحو النظامي.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

## التمهيد

### مدرسة لندن

لاقت آراء سوسير ونظرياته، في النصف الأول من القرن العشرين من النجاح قسطا عظيما، بين عدد كبير من الدارسين وكانت معينا لعدد من المدارس قامت على المبادئ النظرية التي أرسى سوسير قواعدها، والأسس المنهجية التي سطر معالمها ووضعها. ومن تلك المدارس اللسانية، هي مدرسة لندن وهذه المدرسة لم تحدد منهجها لها إلا بالانطلاق من تحديد اللغة على أنها نظام وظيفي يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، أي: هي وسيلة اتصال اجتماعية يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة.

ولعل ألمع اللسانيين في هذه المدرسة الذين أسسوا للدرس اللساني: أليس وبيتمان ودانيال جونس وجاردينر وجون فيرث وهاليدي وويليام جونس وهنري سويت.

إلا أن الدرس اللساني الإنجليزي لم يشهد التطور النوعي والمنهجي إلا على يد جون فيرث الذي طور نظرية سياق الحال للعناية بالجانب الدلالي للغة الطبيعية من حيث هي وسيلة للتواصل الاجتماعي ، دون إغفال الدراسات الصوتية التي أسس لها دانيال جونس وهنري سويت بتأثير من الدرس الهندي القديم، وقد أسهم فيرث من خلال مدرسته الجديدة مدرسة لندن في الاعتراف باللسانيات العامة علما أكاديميا في الجامعات البريطانية بدأ من سنة ١٩٤٤ و١٩٥٦، وممن تأثر بمنهجه البروفسور مايكل هاليدي، وهذا يعد المؤسس الثاني لهذه المدرسة.<sup>(١)</sup>

---

١- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر: ٨١، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي، د. عطا محمد موسى: ٣٠٥ .

ولد مايكل هاليدي (١٩٢٥) في انكلترا لأسرة جامعية، ودرس اللغات متخرجاً من جامعة بكين وانكلترا سنة (١٩٥٥)، وحصل سنة (١٩٨١) على جائزة (دافيد راسل) للبحث المتميز في تعليم الانكليزية من المجلس الوطني بمعلمي الانكليزية بأمريكا، وقد كان من أنبه تلاميذ فيرث، وله أعمال تغطي قطاعات لسانية متنوعة منها لسانيات النص، والتعليمية والشعرية واللسانيات العامة، وهو صاحب نظرية في النحو تعرف بنظرية (النحو النظامي)، ألف بالاشتراك مع زوجته هندية الأصل رقية حسن كتاباً حول الاتساق في اللغة الانكليزية سنة (١٩٨٥م). (١)

---

1-اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بو قره: ٢٦٨-٢٦٩ .

## اللغة عند هاليدي

تعددت مدارس الفكر اللغوي وتعددت الاتجاهات بتعدد النظرة إلى اللغة، فاللغة بنظر هاليدي . وهي نظرة الاتجاه الوظيفي . عبارة عن وسيلة اتصال يستعملها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات.<sup>(١)</sup>

فالجانب الوظيفي للغة ليس شيئاً منفصلاً عن النظام اللغوي نفسه، فتدخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة، أي ما يستطيع المرء أن يؤديه أو يفعله باللغة، فتكون اللغة نوع من السلوك الدلالي المحتمل من المتكلم.<sup>(٢)</sup> يقول هاليدي: ((إذا كان بإمكاننا أن نغير مستوى الرسمية formality في كلامنا أو كتاباتنا، أو أن ننقل بحرية من نمط سياقي معين إلى نمط آخر، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم، وتارة لإلقاء محاضرة عامة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد، فلأن طبيعة اللغة على شاكلة بحيث إن جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقتها الاستيعابية الكلية))<sup>(٣)</sup> .

فهاليدي يربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني، فالنظرية الوظيفية ليست هدفاً وإنما إطار يتم من خلالها الكشف عن الخيارات المتاحة أمام المتكلم، أي ربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها.

---

1- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: ٧١، واللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة

تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، د.حافظ إسماعيل: ٤٠٠ .

٢- ينظر: المصدر نفسه، والمعنى في النظريات اللغوية الحديثة، د. أحمد جواد العتابي: ٢٢ .

٣- المصدر نفسه

## سياق الحال

تجسدت هذه النظرية عند فيرث من خلال نظرتة إلى اللغة على أنها نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، ليست وليد لحظة معينة بما ي صاحبها من صوت وصورة، ولكنها حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملايسات الأحداث، أي من خلال ( سياق الحال )، وهذا السياق هو كل ما يتعلق ويحيط بالأفراد، أو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي (أو للحال الكلامية)، ومن هذه العناصر المكونة للحال الكلامية :

١- الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي.

٢- الأحداث اللغوية نفسها، أي العبارات المنطوقة.

٣- الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي.

٤- أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلا .

لكن هاليدي لم ينظر إلى هذه العناصر كلها وإنما أراد أن يقيد السياق بالأمور المؤثرة في البيئة وتكون ذات صلة مباشرة بالحدث اللغوي، نراه يقول: (( من المهم أن نقيد فكرة السياق، وذلك بأن نضيف لها كلمة ( ذات صلة ) relevant ، لأن سياق الحال لا يعني كل صغيرة وكبيرة في المحيط المادي، كتلك التي قد تظهر فيما إذا كنا نسجل بالصوت والصورة حدثًا كلاميًا مع كل المشاهد والأصوات المحيط به، أنه يعني تلك الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل ))<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ أن هاليدي نظر إلى السياق أبعد من فيرث، فنراه يبين وحدة المعنى بتركيب الجملة، أي أن المتكلم لا ينطق بالجملة عارية ثم يكسبها ثوب المعنى في مرحلة تالية، ولكن المعنى ينشأ في الظرف المناسب وفي لحظة الخلق اللغوي، أي في لحظة تفاعل المرء مع الحدث.

---

1 - ينظر: نظرية النحو العربي، د. نهاد الموسى: ٨٥، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: ٨٤.

يقول في هذا هاليدي: (( إن السياق جزء من التخطيط الكلي... ليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق ))<sup>(١)</sup>

(( وقد طور هاليدي فكرة السياق في دراساته عن الترابط اللغوي وتحليل النصوص، فاقترح أسلوباً آخر لتحديد العناصر السياقية التي تلعب دوراً في بيان معنى النص، وهذا الأسلوب يوظف ثلاثة مصطلحات على وجه التحديد هي :

- الحقل field وهو المجال الطبيعي (الاجتماعي) الذي يكون مسرحاً للنص، فيشمل بذلك النشاطات المختلفة، والأهداف الخاصة التي تستعمل اللغة من أجل تحقيقها.

- التوجّهات tenor ويشمل العلاقات ما بين المشاركين في الحدث اللغوي: وضع كل مشارك والدور الذي يؤديه كل مشارك.

- النمط mode وهو الوسيلة المنتبجة في النص (أو الحدث اللغوي) ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل البلاغية.

ويحرص هاليدي على تأكيد فكرة مهمة وهي أن هذه العناصر لا ينبغي أن تعامل على أنها أنواع من الاستعمال اللغوي، ولكنها إطار نظري لتمثيل السياق الاجتماعي الذي يستطيع المتكلم من خلاله أداء المعاني.<sup>(٢)</sup>

ومن الأمور التي وضع هاليدي لمساته عليها في نظرية السياق هي سياق المقام، فوضع في هذه الفكرة "سياق المقام" ثلاثة عناصر هي المجال، والنوع أو الوسيلة، والمشاركون في الخطاب، وهي تقابل عنده المكونات الوظيفية للنظام المعنوي وهي : الفكري والعلائقي والنصاني.

---

1- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: ٨٤.

2- المصدر نفسه ٨٥.

هذه العناصر والمكونات هي التي تترايط خالقة اتساق النص، وهي المهمة التي يقوم بها المتلقي بناء على معيار الترابط بين أجزاء الخطاب وهو ذاته معيار لتحديد ما هو نص (ما يشكل كلا موحدًا مترابطًا) وما لا ليس نصًا (جمل غير مترابطة) هذا الترابط المتسق ما بين الداخل النصي والخارج المقامي.

ذلك أن هاليدي نظر إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية فدرس علاقاتها بالمجتمع دون أن يقصي ما تمده به المناهج والمجالات المعرفية المختلفة. ولأن السياق عند هاليدي سابق على النص فإنه بدأ بمعالجته منطلقًا من تعريف النص بأنه اللغة التي تخدم غرضًا وظيفيًا؛ أي أنه لغة (النظام) تخدم غرضًا في إطار سياق ما. وقد تكون تلك اللغة مكتوبة وقد تكون منطوقة وفي الحالتين هي نظام سيميولوجي لغوي ويتطلب منها فهم اللغة كنظام، لفهم كيفية عمل النصوص لا الجملة.<sup>(١)</sup>

### النحو النظامي

يعد ما قدمه هاليدي من تطور لنظرية السياق من أكثر اتجاهات المدرسة الوظيفية تكاملًا، فهو يرى أن قدرة المتكلم على استعمال اللغة تقع ضمن الإمكانيات التي تسمح بها اللغة، وهو بذلك يؤكد الجانب الوظيفي للغة، لكنه يرى أن يتم تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام يعبر عن استخداماتها أطلق عليه النحو النظامي systemic grammar.<sup>(٢)</sup>

وهذه النظرية تقوم على مجموعة من الخصائص :

أولاً : الشكل : وهو تنظيم أجزاء اللغة على وفق قواعد النحو والصرف.

ثانياً : المادة : وهي الجانب الصوتي والكتابي.

ثالثاً : السياق : ويقصد به العلاقة بين الشكل والمواقف.<sup>(٣)</sup>

---

1- تنظر : شبكة الإنترنت: منتدى المشهد الموريتاني .

2- ينظر : مناهج الدرس النحوي في العالم العربي: ٣٠٥.

3- تنظر : محاضرات د. أحمد جواد العتاي على طلبه الدراسات العليا /دكتوراه .



)) وهذه النظرية مبنية على أساس تعدد وظائف اللغة multiple function. وهذا المبدأ ينعكس على النظام اللغوي، فنجد أن كل تركيب أو بناء لغوي يؤدي وظيفة مختلفة، وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره، هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعلية للنظام اللغوي، ومن ثم فإنه من الصحيح أن نقول إن الوسائل التعبيرية المتاحة للمتكلم، أو الاستعمالات التي من الممكن أن يلجأ إليها مستعمل اللغة تكون في حدود الإمكانيات اللغوية الموجودة في اللغة، هذه الإمكانيات هي خصوصيات كل لغة ((<sup>(1)</sup>).

من هذا نلاحظ أن هاليدي قد ركز في هذه النظرية على الجانب الوظيفي للغة، مما جعل المهمة الرئيسة التي ينبغي الاضطلاع بها منذ البداية هي تصنيف هذه الوظائف ضمن نظام نحوي يعكس بالدرجة الأولى تلك الاستعمالات. والنظام النحوي الذي قدمه هاليدي عبارة عن شبكة ضخمة من العلاقات المتداخلة لأنه مبني على وظائف اللغة كما تصوّرها، لذلك نراه قد حاول تقديم حصر بأهم وظائف اللغة فتمخضت محاولاته عن الوظائف الآتية :

#### 1- الوظيفة النفعية الوسيطة :

وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد" فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم.

#### 2- الوظيفة التنظيمية :

وهي تعرف باسم وظيفة "افعل كذا، ولا تفعل كذا" فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين، لتنفيذ المطالب والنهي، وكذا اللافتات التي نقرأها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.

#### 3- الوظيفة التفاعلية :

وهي وظيفة "أنا وأنت" حيث تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم

---

1- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل المعنى: ٨٩.

الاجتماعي باعتبار أنّ الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكّك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

4- الوظيفة الشخصية :

من خلال اللغة يستطيع الفرد أن يعبر عن رؤياه الفريدة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين.

5- الوظيفة الاستكشافية:

وهي التي تسمى الوظيفة "الاستفهامية" بمعنى: أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه البيئة.

6- الوظيفة التخيلية:

تتمثل فيما ينسجه من أشعار في قوالب لغوية، كما يستخدمها الإنسان للترويح، ولشحن الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية.

7- الوظيفة الإخبارية الإعلامية:

باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة . ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية اقناعية ؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة والعدول على نمط سلوكي غير محبب.

8- الوظيفة الرمزية :

يرى البعض أنّ ألفاظ اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وبالتالي فإن اللغة تخدم كوظيفة رمزية (١).

سنعرض جانباً تطبيقياً لنظرية النحو النظامي نتطرق فيها لفكرة التعدي واللزوم في اللغة العربية، لأن هذه الفكرة عند هاليدي تتمثل في العلاقات التي يمكن تأسيسها ما بين ((النشاط)) process type و ((المشاركين)) participants .

1- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د.جمعة سيد يوسف ، سلسلة عالم المعرفة، عدد، ١٩٩٠م، ص ٢٢ .

لنقرأ الجملتين الآتيتين :

١- بكى الطفل

٢- انفجر الوضع الأمني في لبنان

تحتوي كل جملة على عنصرين:

أ- نشاط يمثله الفعل .

ب-مشارك واحد هو عبارة عن الاسم سواء أكان عاقلا أم جمادا .

نتأمل الجملتين لتتعرف على نوع النشاط فيها، فنجد الأول يدل على حركة يسمى (( عامل ))، أما الجملة الثانية فنجد النشاط يدل على حدث فنسميه: ((متأثر)).

فإذا كان النشاط يقتصر على العامل أو المتأثر فهو ((نشاط قاصر)) أما

حينما يتجاوز النشاط إلى عنصر ثان في الجملة فهو ((نشاط مجاوز)) كما في هذا

المثال :

٣- شرح المعلم الدرس .

وهذا العنصر يطلق عليه مصطلح الهدف goal لأنه عبارة عن نتيجة النشاط

أو أثر النشاط الذي قام به العامل، ونجد في بعض التراكيب أن ما يمثل نتيجة

النشاط هو عبارة عن مشارك نطلق عليه مصطلح ((الظرف)) كما في المثال

الآتي :

٤- غرد العصفور فوق الشجرة.

ولكن نرى أن بعض النشاط (الفعل) ليس حركة أو حدثا، ولكنه يعبر عن وضع

من الأوضاع state ولذلك فهو فعل وضع stative verb ، أما الاسم الذي يأتي

بعد فعل الوضع فلا يصح أن نطلق عليه مصطلح ((العامل))؛ لأنه لايقوم بعمل ولا

يتأثر به، وبالنظر إلى وظيفته نجده عبارة عن شيء يتصف بالحقيقة التي يرد ذكرها

بالنشاط لذلك سنسميه ((متصفا)) والاسم المنصوب في تلك التراكيب يظهر من

وظيفته العامة أنه يبين الشيء الذي اتصف به المتصف، فنسميه ((وصفا))، وقد

يكون الوصف عددا أو اسما صريحا، كما في الأمثلة الآتية:

٥- يكلف الكتاب عشرين دينارا.

٦- يشبه زيد أباه.

أما الأفعال التي تتعدى مفعولين فينظر إليها إزاء نوع مختلف من النشاط، فالحركة التي تصدر من العامل ذات بعدين، فهي من جانب تؤثر في شيء - غالبا ما يكون عاقلا- وهي من الجانب الآخر تبين الأثر الذي ترك في هذا الشيء نتيجة للنشاط، وهذا يعني أن هناك مشاركين اثنين غير العامل في هذا النوع من الجمل، يكون المشارك الأول منهما عبارة عن شيء أو عنصر استفاد من العمل الذي صدر من العامل، والمشارك الثاني هو الشيء المستفاد، أي أنه مجرد أثر أو نتيجة للنشاط، وتبعا لهذه الوظائف فنسمي الأول ((مستفيد)) وسنسمي الثاني ((هدف))، فلننظر إلى الأمثال الآتي:

٧- منح المدير سكرتيته إجازة مرضية.

نحل هذه الجملة فتكون:

<u>منح</u>	<u>المدير</u>	<u>سكرتيته</u>	<u>إجازة</u>	<u>مرضية</u>
نشاط مجاوز	عامل	مستفيد	هدف	صفة

اتضح من هذه الأمثلة كيفية تداخل الأدوار والمشاركين في النحو النظامي، الذي يلغي ذلك التقسيم الحاسم للأفعال إلى لازم ومتعدي، المنبثق من أسس صرفية.

والخلاصة من ذلك فأن التعدي واللزوم من وظيفة الجملة بأكملها؛ لأن الوظائف اللغوية تؤدى عن طريق الجملة المتكاملة، ويكون تحديد الأدوار ونوعية المشاركين على أساس وظيفتها الدلالية في الجملة، ولذلك يجب أن نعتبر ((العامل)) و((الهدف)) وغيرهما من الأدوار الوظيفية على أنها وظائف دلالية وليست وظائف نحوية.

فمن الواضح بعد ذلك أن هاليدي يحاول أن يقيم نظاما نحويا على أسس دلالية وظيفية؛ لأنه يعتقد أن نحو كل لغة مصمم بكيفية معينة لتمكن المستعمل من أداء المعاني المستعملة، والحقيقة الواضحة عندئذ أنه حينما نكتب نحو لغة ما فإننا نبحث عن وسائل أداء تلك اللغة للمعاني.<sup>(١)</sup>

1- ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: ٨٩-٩٣.

## المصادر والمرجع

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحيى أحمد، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، ١٩٨٩ م .
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د.جمعة سيد يوسف ، سلسلة عالم المعرفة، عدد، ١٩٩٠ م .
- اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بو قررة، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، د.حافظ إسماعيلي، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م.
- محاضرات د.أحمد جواد العتابي على طلبة الدراسات العليا /دكتوراه، ٢٠١٠-٢٠١١ .
- المعنى في النظريات اللغوية الحديثة، د. أحمد جواد العتابي، كلية التربية-الجامعة المستنصرية.
- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، د.عطا محمد موسى، دار الإسراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- منتدى المشهد الموريتاني، شبكة الإنترنت.
- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د.نهاد الموسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.